العدد (1703) السنة السابعة - الاربعاء (20) كانون الثاني 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

هل تختفي العمالة العراقية مع الزحف الآسيوي على بغداد ؟

الهجرة الداخلية الى العاصمة تكشف أسرار البطالة بين الشباب

وائل نعمة

ساعات الصباح الاولى حينما لا تجد غير اشباح الاشخاص تسير متخفية وراء ظلام الليل الذي لايزال يخشى النزول فيرتفع بدلا عنه قرص الشمس الساطع ليتوسط سماء بغداد . يسير (ساجد) بخطى مترنحة وعيونه ساقطة في الارض ومازال النوم يغفو على جفنيه . الساعة الخامسة صباحا يرتقي (سجاد) اول سلالم العمل المرهق ، يتوجه الى احدى الزوايا ويخلع ملابسه ويرتدى ملابس العمل المعلقة منذ ليلة الامس ويجر معه ادوات التنظيف ويدخل في اخر الرواق دافعا قدما وساحبا الاخرى كمن لايريد ان يصل لكن هناك قوة تدفعه من الخلف وتجبره على الدخول . امسك الفرشاة الخشنة وغاصت يداه بمساحيق التنظيف .

عامل في القطاع الخاص

الطريق من الناصرية الى بغداد

قبل ثلاثة اشهر كان (سجاد) يستيقظ قبيل الظهيرة . ام (سجاد) كانت قد وضعت (صينية) الفطور منتظرة الرجل الكسول ليبدأ يومه بأكل (الباقلاء بالدهن) ثم يتوجه الى مفترق الطريق حيث ينتظره الاصدقاء العاطلون عن العمل .في ذلك اليوم لم يكن مفترق الطريق غنيا بقاصديه ، استغرب (سجاد) امر اصدقاء المفترق، اين ذهبوا اليوم؟ سأل عنهم الواحد تلو الاخر فوجدهم قد اجتمعوا ليودعوا (هاشم) عند كراج (الشطرة) بعد ان قرر الذهاب الى بغداد للعمل . حينها تذكر (سجاد) الكلام الذي كان يدور قبل ايام بين اصدقائه حول ان الوقت قد طال دون ان يجدوا عملاً بديلاً ففكروا باللجوء الى المحافظات الاخرى حتى يكسروا حصار العمل في الناصرية !

«سجاد تعال نظف الميز» ذهب لينفذ امر صاحب المطعم بعد ان وجد نفسه هنا منذ ثلاثة اشهر عند صديقه هاشم الساكن في منطقة الكاظمية وقد اصبح عاملا في احد مطاعم المنطقة ، طالبا منه ان يجد له عملاً في احد المطاعم وكان الحظ قد حالفه حينما كان المطعم الذي يعمل فيه (هاشم) يحتاج عامل تنظيف .

البيوت في الشطرة صغيرة وقديمة ويتزاحم الساكنون فيها لأنهم يحبون العيش معا ، وسجاد الاكبر سنا بين اخوته العشرة تحمل مسؤولية البيت بعد ان توفي والده وهو في سن مبكرة حينها لم يستطع ان يكمل دراسته بل اكملها في السوق يدفع (عربة) الخضار ويوصلها من منطقة الى اخرى . لكن سجاد الصغير قد كبر واخوته كبروا ايضا ولم تعد (العربة) تجدي نفعا ولاتسد رمق العائلة الكبيرة فانتقل من عمل لاخر حتى استقر به الامر بمطعم الكاظمية .

شحة فرص العمل

عدد كبير من شباب محافظات الجنوب تحديدا يفضلون القدوم الى بغداد نظرا لفرص العمل القليلة في محافظاتهم وبالمقابل ان اجور العمل في بغداد اكثر كما يقولون !! عامل البناء كاظم جوير ٢٣ سنة وهو من اهالي الديوانية يقول : لقد قدمت الى بغداد لان اجرة العمال قليلة في الديوانية . كاظم لايعرف غير البناء مهنة ، ولايستطيع ان يجلس بالديوانية دون عمل بعد ان قرر في يوم من الايام الارتباط بأحدى بنات المنطقة التي يسكن فيها فأصبح الهم كبيرا والحمل ثقيلا .

يرفع كاظم الطابوقة ويتلقفها بيده الاخرى قائلا : ان الاجرة في الديوانية لاتسد حاجتي حيث انها تتراوح من ١٥-٢٥الف دينار بينما اتقاضى هنا في بغداد اجرة يومية من ٣٥-٤٠ الف دينار ويتراوح مصروفي اليومي مع سكن الفندق عشرة الاف دينار يوميا من مأكل ومسكن ومصاريف اخرى واذهب الى اهلي كل شهرين واني مرتاح هنا ولا توجد لدي أي مشكلة .فيما مجموعة من عمال البناء منهمكة في رص قوالب من الكونكريت على سطوح احدى البنايات بمنطقة بغداد الجديدة وكان بينهم شباب صغار آخرون يحملون على ظهورهم الى السطح قوالب كونكريتية ثقيلة لو قورنت باجسادهم النحيفة، لكنهم يؤكدون انهم لا يشعرون بالتعب خصوصا عندما يتقاضون الاجر في نهاية اليوم فيسيح كل التعب من فوق ظهورهم .

الملامح المتشابهة

بدت على هؤلاء العمال ملامح متشابهة، واتضح فيما بعد انهم اخوة واقارب جاءوا من مدينة السماوة للعمل في بغداد ويقول كبيرهم في العمل وهو شاب يقترب من الثلاثين من العمر يدعى حسين « امتهن البناء وأتخصص في سطوح البنايات والكاشي « . حسين يفضل العمل في بغداد لانها برأيه افضل من السماوة لوفرة فرص العمل المتاح والربح الجيد ، وقد استأجر حسين غرفة في مدينة الصدر ينام فيها مع من يستقدمه من اقربائه في السماوة . يتذكر حسين كيف ان عمله تأثر كثيرا مع تأزم الوضع الأمني في بغداد والآن اعرب عن ارتياحه لما آل اليه الوضع من تحسن مشهود، انعكس بشكل ايجابي على رزقه.

ويؤكد باقر وهو شقيق حسين ان الظروف الأمنية التي مرت بها العاصمة بغداد قبل سنتين اثرت كثيراً في عملهم، واضطروا الى المجازفة والعمل في مناطق ساخنة وذهبوا بعد ان نجوا اكثر من مرة من مصائد القتل والتهديد الى المحافظات الاخرى سعيا وراء العمل . اما اليوم فالأمر اختلف حيث يتمكنون من العودة مساءً والتنقل في مناطق بغداد بأمان .اما فلاح مطر فهو يعمل ايضا في المجموعة نفسها، متزوج ولديه ستة اطفال يعمل في بغداد منذ سنوات عديدة. وعلى الرغم من ذلك فانه لا يفضل الاستقرار فيها ويأسف على ما آلت اليه اراضي الديوانية الزراعية التي كان يعمل فلاحا فيها ويستمتع بوجوده بين الاراضي الخضرا لكنه اضطر الى ان يهجرها بعد ان هجرها الماء واصابها الجفاف.

اطفال وزوجة!

اما العامل حسان ٣٢ سنة من العمارة فيقول : لقد اتيت قبل شهر تاركا زوجة واطفالا اربعة لم استطع ان ادخل اي احد منهم الى المدرسة لاني كنت عاطلا عن العمل منذ فترة وكان اخي الاكبر يتكفل بمصروفي ولكن النساء لاتبقى على الاحوال كما هي بل قلبت الموازين وجعلت اخي يكف عن مساعدتي رغم اني لم اترك عملا الا ودخلت فيه ولكن حظي سيئ جدا . حسان يعمل الان في مجال البناء ويتقاضى عشرين الف دينار وينام مع مجموعة من ابناء جلدته ويدفع خمسة الاف دينار لليلة الواحدة في غرفة بائسة في احد أزقة البتاويين ويتمنى من اصحاب الفنادق ان يراعوا حالة العمال ويقللوا اجور المنام لكي ينام في غرفة مريحة وصحية بدلا من الغرف العفنة .

فيما يضيف صديقه رضا وهو من العمارة ايضا بالقول : انا متزوج ولي طفل وبسبب عدم وجود العمل في العمارة وقلة الاجر خصوصا وانا اعمل نجارا وان اهالي العمارة اصبحوا لايتذكرون الغرف الخشبية ولا الاثاث الخشبي بل اصبح القديم يتداول بين الاخوة والاقارب ليقضي فيه (العريس) شهر العسل ثم يرجع من جديد الى صاحبه ، والبعض لايحتاج في الزواج غرفة نوم بل يقضيها بأي شكل من الاشكال . اليوم رضا يتقاضى ٣٠ الف دينار يوميا لقاء عمله كنجار ويحاول ان يرسل مايستطيع ارساله الى زوجته وطفله والباقي يتدبر فيه يومه الطويل .

من بيع الاكياس الى المطاعم

وفيما كان نزار ذو العشرين عاما ينظف ارضية المطعم طلب منه احدى اصدقائه أن يقرأ له التعليق المكتوب تحت احد الصور المنشورة في الصحيفة ، لكن نزار اعتذر من صاحبه لانه لايجيد القراءة والكتابة . نزار لم يجد من يحثه على الدراسة او اللحاق بركب المدارس بل اجبرته الظروف على بيع (الاكياس) في سوق الناصرية منذ كان عمره لايتجاوز ال ٦ سنوات ومنذ ذلك اليوم ادرك بأن حياته لن تكون سهلة . يقول نزار « حينما قررت القدوم الى بغداد لم استطع ان اخبر امي بأني قاصد بغداد للعمل لانها تخاف مما تسمعه عن الاوضاع الامنية « . نزار حينما خرج من البيت قال انه ذاهب الى النجف لكن حينما وصل الى بغداد اتصل بوالدته واخبرها بأنه في بغداد ومنذ تلك المكالمة والى اليوم ام نزار تصر دائما على ابنها للعودة الى الناصرية لانها تخاف من ان يعيش في اجواء بغداد التي تراها امه خطرة ، بينما يراها نزار جيدة والعمل في المطعم افضل من غيره.

في حين كان عقيل يقف على (شيش الكص) ويقطع اللحم برشاقة ، تذكر اخوته الاثني عشر الذي تركهم قبل اشهر في الدغارة حينما تلقى مكالمة من صديقه حثه على القدوم الى بغداد للعمل في احد المطاعم . يقول عقيل «عملت في سوق الخضار بالديوانية وكنت اعمل من الساعة الثالثة عصرا حتى صباح اليوم التالي وكنت اتقاضى ١٢ الف دينار فقط « . يعتقد عقيل بأن الوضع الان افضل فهو يعمل بمطعم في منطقة البتاويين ويتقاضى لقاء عمله ١٥ الف دينار وينام في غرفة قد استأجرها لهم صاحب المطعم ويبدأ عمله من الساعة الخامسة صباحا الى الحادية عشرة ليلا .

شاب الشعر مبكرا!

بينما عدي النجفي من مواليد ١٩٧٩ كان معتادا على العمل في مطاعم الكاظمية حينما كان شابا صغيرا وجنديا في كركوك ، فكان قبل ان يذهب الى وحدته يسرق ويملأ بعض جيوبه بالدنانير ويستقل سيارة كركوك بعد ذلك . يقول عدي « الظروف المادية ووفاة والدي جعلتني اترك الدراسة واتوجه الى العمل ، وكانت بداياتي في مطاعم الكاظمية من تنظيف (المغاسل) الى خدمة الصالة الى (خلفة) في (الكص) . عدي لم يترك فرصة للتعيين ما لهث وراءها لكن لم يستطع ان يتعين كشرطي او كجندي في الجيش فلم يبق له غير المطاعم وقد شاب شعري وانا في سن مبكرة .

كورسات فن الطبخ

وفي الوقت الذي كان فيه حسن طالبا بكلية الفنون الجميلة بالبصرة وناشطا في رابطة السينما والتلفزيون في المدينة اضطر الى ترك كل هذا والجلوس في مقهى عبود الدلال منتظرا العمل . يقول حسن « وصلت الى بغداد قبل ٦ اشهر ومن ثم تعلمت مهنة واصبحت (خلفة) دجاج ومقبلات « . حسن لايفكر في الرجوع الى البصرة لان الحاجة الى المادة جعلته يترك كليته وينتظم في (كورسات) سريعة ومكثفة لتعلم لغة المطاعم ، وكان له ما أراد ، لكن هذه المهنة ليست ثابته فأصحاب المطاعم احيانا يغيرون العمال او يستغنون عن احدهم وقد اصاب حسن احد الفعلين ، وهو الان ينتظر دوره في مقهى عبود الدلال .

العمالة الاسيوية

وفي المقهى نفسه كان يشتكي ابو ابراهيم الطباخ الذي قدم قبل سنين الى بغداد من مدينة الحلة باحثا وراء الرزق والتقى بزوجته واستقر في بغداد ، امتهن ابو ابراهيم الطبخ بكل اصنافه وعمل في المطاعم وفي المناسبات من الافراح والاحزان ، لكنه اليوم يشتكي من المضايقة في الرزق . حيث يقول ابو ابراهيم « ان العمالة الاسيوية قد قطعت ارزاقنا وقللت من فرص العمل « . ويرى ابو ابراهيم ان العمال الاسيويين يأخذون اجورا متدنية جدا لايمكنها ان تسد رمق العراقي لو قورن بالمبلغ نفسه ، فماذا تفعل المائتا دولار ؟ خصوصا اذا كان الشخص متزوجا ولديه اطفال ويعيش في بيت مستأجر ، وطالب الجهات المختصة بأن تمنع دخول العمال الاجانب ولو لفترة معينة حتى يستقر وضع العراق . وابو ابراهيم كان من ضمن العشرات الذين جلسوا في مقهى عبود الدلال ينتظرون العمل ويشربون الشاي . فما قصة هذا المقهى ؟

مقهى عبود الدلال

عبود الدلال رجل خمسيني مصري الجنسية جاء في نهاية السبعينيات الى بغداد شأنه شأن الكثير من المصريين الذين وفدوا الى العراق للعمل ، وتزوج عبود من عراقية وممتزج مع المجتمع العراقي . عبود بدأ العمل في مطعم فلسطين في شارع فلسطين وعمل في بدايته على (المغاسل) كما هو الحال في بدايات كل شخص جديد يعمل لاول مرة في مطعم ومن ثم تدرج بعمله حتى اصبح محترفا ب (الكص والكباب) . وبالتأكيد ان عبود يتعرض كما زملاء المهنة الى بعض الانتكاسات الاقتصادية ، ففي احد الايام كان يجلس بأحد مقاهي الكاظمية ولم يكن يملك حتى حق السيكارة ، قدم شابان من الناصرية يبحثان عن عمل وتحدثوا عن ذلك بصوت عال في المقهى فسمعهم عبود ، ولان عبود يعرف الكثير عن المطاعم توسط عند احد اصحاب المطاعم ووجد لهما عملاً واستقرا فيه . وبعد فترة قصداه من جديد وقد تغيرت اوضاعهما، وشكراه على مساعدتهما واعطياه نقودا اكراما له على معروفه الذي صنعه واستقباله لهما حينما وطئت قدماهما اول مرة ارض بغداد.

عبود بدأ من تلك اللحظة يمد يد العون للكثير من الشباب القادمين من المحافظات ويبحث لهم عن العمل . يقول عبود « بدأت اطبع (كارتات) واوزعها على المطاعم والمقاهي اعرف نفسي واقدم المساعدة في البحث عن العمل للراغبين بالعمل في المطاعم ببغداد « .عبود بدأ يكسب شهرته يوما بعد يوم واصبح صديقاً للجميع ويجتمع في قهوته في البتاويين الكثير من الرجال و(الاسطوات) الذين كانوا في يوم من الايام اطفالا حينما وجد لهم عبود اول عمل في حياتهم في بغداد ، وعبود يبحث عن الخدمة كما يقول وان المبلغ الرمزي الذي لايتعدى ال ١٠ الاف دينار هو ابخس بكثير من الاحساس الجميل الذي يشعر به حينما يرى فرحة الشاب وقد وجد عملا له ، كما يقوم في بعض الاحيان بمساعدة العمال دون مقابل واحيانا يدفع لهم اجور السكن . وعبود ليس هو الوحيد ممن يعمل في هذه المهنة فمثله الكثير ممن يختصون في التعهدات للعمال لكن في مجالات اخرى مثل قهوة التميمي في العلاوي قرب سينما بغداد و يتخصص صاحبها بعمال الافران والخبازين ، وهناك متعهدون اخرون يتخصصون بعمال الفنادق وهلم جرا .....

والعمال المجتمعون في مقهى عبود الدلال يجمعون على ان حالتهم لاتسر ولاتليق بالعراق الجديد وهم يشعرون بأنهم غرباء في وطنهم ولايملكون شبرا فيه وتمنوا من ان تكون الجهات المعنية رفيقة بهم وتعطيهم الاولوية في التعامل خصوصا وانهم اليد العاملة الوطنية والتي ربما ستختفي مع الزحف الاسيوي.

حق الرد

الجمعية العامة لصيادي وصقاري العراق

ترد على ما نشرته (المدى) عن الصيادين القطريين

ليس جديداً على جريدة (المدى) الغراء أن تتصدر فتح ملفات مثيرة للجدل وهي المشهود لها بالرصانة والموضوعية والوطنية في عرض الملفات على الرأي العام. واضعة أمامها المهنية والواجب الوطني للأعلام الشريف الملتزم بقضايا الشعب. أن فتح ملف (الصيادين القطريين) الذي نشرته (المدى) في العدد (١٦٩٣) بتاريخ (٢٠١٠/١/٩) يستحق الثناء والتقدير للجهود الكبيرة التي أعدته وأتصلت بكل أطراف القضية إلا نحن الصيادين العراقيين المعنيين بشؤون الصيد ورياضة الصيد بالصقور، أقولها بصراحة ان فتح هذا الملف قد أسعدنا وأثلج صدورنا ودفعنا لفتح ملف الصيد من أجل أن تكون الصورة كاملة أمام أنظار الجميع للمشهد الحقيقي لواقع الصيد في العراق.

أن دخول الصيادين القطريين للعراق ليس جديداً علينا ولم نستغربه لأننا نعلم أنهم وغيرهم من الصيادين الخليجيين يدخلون للعراق كل عام وبعدة أساليب وطرق.

المشكلة ليست فيهم، المشكلة فينا، نحن السبب ودخولهم هو النتيجة. سابقاً قبل عام (٢٠٠٣) كانوا يدخلون عن طريق موافقات خاصة تصدر عن شخص واحد له هذه الصلاحية، أما بعد عام (٢٠٠٣) فكانوا يدخلون بموجب دعوات خاصة أو بموافقات خاصة تصدر عن جهات متعددة منها حكومية ومنها حزبية متنفذة ومنها عشائرية، واصبح الصيد داخل الأراضي العراقية مباحاً مستباحاً، لا تحكمه ضوابط ولا يخضع للقوانين الصادرة من الحكومة العراقية. هنا المفارقة، الصيد ممنوع على العراقيين ومسموح لغير العراقيين فقد نص كتاب وزارة الزراعية المرقم (١١٤٩٧) في (٢٠٠٥/٦/٣٠) على أنه تقرر منع الصيد (للطيور والحيوانات البرية) منعاً باتاً في جميع مناطق العراق ولجميع المواسم ولمدة ثلاث سنوات متتالية للحفاظ على الأنواع المتبقية من الثروة الحيوانية وللحد من الصيد الجائر.

كان هذا القرار صدمة لنا، لأننا نعتقد انه لن يطبق إلا على الصيادين العراقيين، وتقدمنا بطلب الى معالي وزير الزراعة بكتابنا هو كلمة (أطلعت) التي لم نعرف تفسيراً لها رغم مراجعاتنا الكثيرة والملحة للوزارة، والتي نتج عنها توجيه دعوة رسمية لنا بتاريخ (٢٠٠٥/٩/٨) للمشاركة في أعمال اللجنة المشتركة لتنظيم عملية صيد الحيوانات والطيور البرية في العراق، ولغرض وضع ضوابط قانونية تتلاءم مع الواقع الحالي، وإعادة النظر في القانون رقم (٢١ لسنة ١٩٧٩) الخاص بحماية الحياة البرية.

واستبشرنا خيراً بهذه الدعوة وذهبنا للمشاركة، نحمل معنا أحلاماً ونصاً قانونياً معداً من قبلنا فيه رؤيتنا لقانون الصيد الجديد، معتقدين بأن الوزارة قد اختارت نهج الديمقراطية بإشراكها لمنظمات المجتمع المدني المعنية بشؤون الصيد في صنع القرار لإصدار القانون الجديد، ولم تتم بعد ذلك دعوتنا لأي اجتماع آخر، وبعد طول انتظار أدركنا أن ذلك كان ذراً للرماد في العيون. وبعد انقضاء مدة المنع في منتصف عام (٢٠٠٨) اتيحت لي الفرصة لمقابلة معالي الوزير في مكتبه بمقر الوزارة، وأستمع مشكوراً لشرحنا ومعاناتنا من قرار المنع خلال السنوات الثلاث الماضية وقدمت له طلباً تحريرياً لرفع المنع. وكان الرد فيما بعد هو الرفض لطلبنا وأن قرار المنع يظل ساري المفعول لحين صدور القانون الجديد بعد المصادقة عليه من قبل مجلس النواب.

تلك هي معاناتنا ونحن نحرم من ممارسة الصيد هوايتنا المفضلة، ونتألم في كل موسم صيد عندما نسمع بدخول الصيادين الخليجيين، ونتساءل لماذا يحصل كل هذا؟ ولمصلحة من؟، ولم نيأس ولم نسكت طيلة هذه السنوات في الدفاع عن حقوقنا وعبر كل الوسائل المتاحة وفي كل الظروف كنا نعمل لإيصال صوتنا الى كل الجهات المسؤولة وعلى مختلف درجاتها، محذرين من خطورة استمرار هذا الوضع وتداعياته على مستقبل الصيد في العراق وبعد ان لمسنا ممارسات خطيرة تحصل بحجة الصيد مثل اعمال تهريب الاسلحة والآثار والمخدرات وحتى تهريب الثروة الحيوانية عبر الحدود، والحق يقال اننا قد وجدنا عند بعض المسؤولين حساً وطنياً عالياً لتبني قضيتنا وإيصالها إلى أعلى المستويات، وذلك برفع تقريرنا الشامل عن واقع الصيد في العراق الى الجهات العليا في الدولة، وكان علينا الانتظار لمعرفة الرد على التقرير، ومع غمرة الفرح التي عشناها ونحن نستعد لاستقبال موسم الصيد لعام (٢٠٠٩) وتزامناً مع بداية الموسم. صدمنا مرة أخرى بصدور الأمر الوزاري المرقم (م / خاص/ ٢٩٣٦ في ٢٤ /٢٠٠٩/٨) والذي نص على منع الصيد لهذا الموسم والموسم القادم، ويحمل توقيع السيد جواد كاظم البولاني وزير الداخلية، وكان علينا الامتثال والانتظار، حتى صدمنا من جديد، عندما أوعز الامين العام لمجلس الوزراء بتشكيل لجنة من وكلاء الوزراء ومدير المنافذ وممثلين عن المحافظات إضافة إلى الدائرة القانونية في الامانة العامة، وذلك لدراسة كيفية التعامل مع ملف رياضة الصيد وتنظيم ممارسة الصيد بشكل قانوني في ضوء الطروحات والتقرير المرفوع من قبل مجلس الأمن القومي وبهذا التحديد لأعضاء اللجنة التي كنا نعتقد بأننا سنكون عضواً فيها وعوناً لها في الكشف عن الخفايا المستورة والملابسات والتداعيات الخطيرة، وأن نعمل معاً من أجل وضع الحلول لهذه القضية الوطنية، وصدق الكاتب عامر القيسي بكتابته على الحيطان (أننا نرى أنفسنا أمام مسؤولين لا توحدهم قضية وطنية .ليس نقصاً في هذه الروح حاشا لله وإنما سوء فهم القضية نفسها أو عنها أو فيها).

خليل الزهيري
أمين سر الجمعية العامة لصيادي وصقاري العراق

الرشوة والفساد الإداري وراء شيوعه في الأسواق

الذهب المغشوش يخدع العرائس العراقيات!

سها الشيخلي
تصوير- سعد الله الخالدي

فيما اخذت والدة العريس تبحث عن الختم الحكومي في خاتم الخطوبة التي كانت تهم الشابة بأن تضعه في اصبعها بادرها الصائغ وقد عرف بحدسه .. انها انما تشك في الخاتم وتبحث عن الوسم الحكومي فيه قائلا : نحن لا نغامر باسم المحل العريق الذي ورثناه أباً عن جد بتمرير قطع مغشوشة من الذهب مهما كان الربح كبيرا ! غير ان المرأة ردت على الصائغ بتأكيدها ان غالبية المعروضات من (طاقم الذهب) يقولون انها مغشوشة .. وعلقت امراة اخرى على ان الغش صار سمة من سمات حياتنا في هذه الآونة ...

الذهب .. والمرأة

لدى تجوالنا في اسواق الذهب في بغداد كانت المحلات التي تعرض ذلك البريق الأخاذ من الذهب مكتظة بالنساء بمختلف الاعمار والشرائح .. وغياب ملحوظ للعنصر الرجالي بدرجة تثير الانتباه .. فما هي الاسباب ؟ يحدثنا عن ذلك الصائغ عدنان عمر قائلا :

– الذهب هذا المعدن الثمين استطاع منذ القدم أن يعقد صداقة دائمة مع معدن اخر ربما كان اكثر منه قيمة وصلابة ورقياً الا وهو المرأة .. وعندما كان الصائغ يتحدث عن المرأة والذهب تذكرت (كنوز نمرود) التي تم عرضها في تموز عام ٢٠٠٣ على قاعة (الاشوريات) في متحف الاثار العراقي وكيف وقفنا مشدوهين نتطلع باعجاب الى مصوغات أميرة سومرية وجدت مدفونة معها في مقبرة يعود تاريخها الى خمسة الاف سنة ومن المثير للاستغراب تلك الدقة في الصنع للصائغ العراقي الذي عبر عن حسه المرهف وفنه الاصيل رغم بساطة الادوات المستخدمة في ذلك الوقت وعدم وجود الآلة المستخدمة الان ..

قلت للصائغ عمر ، مع وجود الآلة والماكنة في الوقت الحاضر فقد كانت انامل الصائغ السومري اكثر مهارة ودقة من صائغ اليوم ، لم يوافقني بالتاكيد . حتى بعد ان وصفت له كيف رأيت سلسلة تتدلى منها (رمانة) غاية في الكمال والرقة ، كانت السلسلة قريبة الشبه من السلاسل الذهبية الموجودة الان في اسواقنا والتي نطلق عليها اسم (الديسكو) فيما اشار الصائغ عمر الى ان تلك السلاسل غالبا ما يقوم الصاغة بخلطها بمعدن اخر غير الذهب عند صنعهامحليا بل وحتى عند استيرادها على انها (خليجية) غالبا ما تكون مغشوشة .

رواج بيع الذهب

رغم ما تتناقلة النساء من وجود الغش في موازين ووسم الذهب الى جانب خلطه بالمعادن الاخرى فإن حركة بيع وشراء الذهب قد راجت في الأونة الاخيرة فما هي الاسباب يا ترى ؟

في احد اسواق الذهب الشهيرة في بغداد كانت النسوة تقف امام (فاترينة) الصاغة اما للشراء او مجرد (الفرجة) .. سالت الصائغ علي هادي .. من هن النساء الاكثر شراء للذهب من غيرها ؟ فقال :

– الموظفات وخاصة المعلمات منهن والمدرسات اما السبب فهو تحسن المستوى المعيشي للعوائل العراقية بعد زيادة الرواتب لكل من الموظفين والمتقاعدين ، كما ان المرأة تنظر بعيدا الى المستقبل في حين ينظر الرجل الى يومه فقط فالمرأة ترى ان (القرش الأبيض ينفع في اليوم الاسود) كما تجد في الذهب زينة وخزينة رغم غلاء سعره مقارنة بسعره قبل عقود خلت ..وامر آخر لابد من ذكره هو ان اغلب الموظفات بل وحتى الموظفين يعملون على اعداد (سلفة) او يطلق عليه البعض (جمعية) يتم دفع مبلغ من الراتب كل بداية شهر ويتجمع مبلغ لا باس به على ان يكون اعضاء تلك الجمعية على معرفة بعضهم ببعض و(ثقة) في الدفع لكي تنساب المبالغ بسهولة تامة .. هذه السلف انتشرت بين المعلمات والمدرسات لتشكل وجود سيولة نقدية يستثمر في شراء قطع ذهبية ذات وزن ثقيل يؤمن الراحة لصاحبته من انها قد ادخرت مبلغا للمستقبل .. ومع ارتفاع اسعار (الصياغة) والذي يسقط ولا يحتسب لدى بيع المراة للذهب تبقى مصرة على شراء وتخزين الذهب كلما جرت في يدها المادة ، متنازلة بذلك عن استقطاع مبلغ كبير هو اجور الصياغة لدى البيع .. وعن الزبونات الاخريات اللواتي يقصدن الصاغة ..

هل هو ذهب مغشوش؟

اجاب الصائغ هادي انهن العرائس اللواتي يقتنين عادة هدية الزواج والتي نطلق عليها (النيشان) عادة من الذهب .. ولكن يشهد سوق الذهب عادة في الاشهر الحرم وهي محرم وصفر الكساد حيث لا تقيم العوائل اقامة الاعراس في تلك الاشهر.

غش الذهب

ويحدثنا الصائغ سامي مهدي عن انتشار حالات الغش في الذهب المستورد والمحلي فيقول :

– يؤثر الغش سلبا على كل من الصاغة والزبون وعلى مجمل الحياة الاقتصادية للبلد حيث يعتبر الذهب الى جانب النفط احد مقومات غطاء العملة ولكن الدولة لم تلتفت الى هذه الحقيقة ولا توليها الاهتمام الامثل .. وتبعات الغش تؤثر أيضاً على الزبون بشكل اوضح واكبر حيث يدفع في قطعة مغشوشة مبلغا كبيرا من المال فمع ارتفاع سعر المثقال الواحد (٢١) حبة الى ١٨٥ الف دينار يظل الاقبال على شراء الذهب كبيرا .. وعن انواع الغش يوضح الصائغ مهدي انها تنقسم إلى خلط الذهب بمادة النحاس وطلاء القطعة النحاسية لعدة مرات بالذهب بحيث لا يمكن كشفها الا بعد صهرها والتلاعب بالوسم الحكومي فهناك تقليد للوسم المتداول في الاسواق.

وهناك التلاعب بالاوزان وكذلك في (العيار) فهناك ذهب بعيار (٢١حبة و١٨ حبة و١٦حبة و١٢حبة) وكل تلك العيارات تعتمد على نسبة الذهب الى المعادن الاخرى المخلوطة فيه .

ويؤكد الصائغ مهدي ان غياب الرقابة الحكومية قد ساهم وبشكل كبير في انتشار ظاهرة الغش وبشكل كبير كما ان السياسة التجارية السائدة الان هي فتح الحدود على مصاريعها لتدخل شتى البضائع الرديئة منها على وجه الخصوص الى البلد ؛ فدخل الذهب الاماراتي والسعودي وهو يستهوي المرأة لجماليته اولا ودقته ثانيا وكثرة وجود (الزاركون) في صياغته واخيرا والاهم من كل ذلك التباهي في اقتنائه ..

الرقابة الحكومية

ويوضح صائغ اخر رفض ذكر اسمه (مستندا الى ما حصل للصاغة في منطقة الطوبجي) ان الجهاز المركزي للتقييس والسيطرة النوعية لا يمارس دوره بصورة منضبطة في الوقت الحاضر حاله حال بقية الدوائر فبعد انتشار حالات الرشوة والفساد الاداري فقد زحفت هذه الآفات الى اخطر الاجهزة ومنها اجهزة قياس الذهب .. ولا ننسى ان لهذا المعدن حظوة وتقبلاً لدى الجميع بدون استثناء ومن قال لك خلاف ذلك فهو كاذب .. فالذهب مقياس الغنى ومصدر الوجاهة ، والوسم الحكومي المعروف ب(خارطة العراق وأسد بابل) يتم تقليدهما بشكل كبير كما ان عمل (قسم الذهب) في دائرة التقييس والسيطرة النوعية يشوبها بعض التخلف في العمل فقد تم تقسم المحافظات للاشراف على وسم الذهب فيها الى مجاميع ، فتم دمج كل ثلاث محافظات سوية لكي تحضر الى المركز الذي هو في بغداد ومعها الذهب لكي يتم وسمها ، مما يشكل خطورة كبيرة على الصائغ وعلى ما يحمله من كميات كبيرة من الذهب، ما يجعل الصائغ في المحافظات يحمل معه القطع الصغيرة فقط لكي يتم وسمها تاركا القطع الكبيرة في المحل خشية سرقتها .. خاصة بعد تعرض محلات الى السرقة في بغداد والمحافظات .. ويؤكد الصائغ ان الرقابة على محلات بيع وشراء وصياغة الذهب ضعيفة وتكاد تكون معدومة في اغلب الاحيان، وهناك ورش تعمل بدون اجازة وهذا مخالف للقانون .. ولا يتورع اصحاب تلك الورش من التلاعب وتقليد الوسم الحكومي وبعد احداث عام ٢٠٠٣ فتحت الحدود لدخول تجار الذهب وكلنا يعلم ان المراكز الحدودية لا تعظم الا القليل من الرقابة تتمثل في بعض موظفي وزارة التجارة اما الرقابة الاخرى فلا وجود لها بالمرة مما اوجد ذهبا مطليا في اسواق الذهب.. ونعود الى الرشوة المستشرية في دوائرنا والموجودة في المراكز الحدودية التي تجيز دخول الادوية المغشوشة والاطعمة التالفة .. فلماذا لا تجيز دخول الذهب المغشوش او المطلي؟ حتى شاع عن العراق كونه من الدول التي تروج وتعمل في الذهب المغشوش ، علما ان الذهب العراقي قد عرف بجودته ونقائه منذ سنوات عديدة وكان الهدية التي يقدمها الزائر للعراق لأهله عندما يغدر البلد سائحاً ..

زوار العتبات

ويوضح لنا الشيخ عبد الله أن جودة الذهب العراقي كانت الدافع الاول في شرائه من قبل زوار العتبات المقدسة ومن زوار الاثار التاريخية .. لكنه اليوم قد تعرض الى النكسة بعد استيراد الذهب من الخارج وأغلبه مغشوش..

ويحدثنا الشيخ عبد الله عن تاريخ صياغة الذهب الذي كان محصوراً بيد طائفة اليهود الذين برعوا بصياغته وبعد تسفيرهم تولت مهمة المحافظة على صياغة هذه المهنة الشاقة والجميلة في الوقت نفسه طائفة الصابئة والذين تعرضوا قبل فترة قصيرة الى عملية سطو وجريمة قتل في منطقة الطوبجي .. ويتساءل الشيخ عن ما وصلت اليه التحقيقات بشأن تلك الجريمة التي القت بظلالها على مجمل ورش الصاغة ليس في بغداد فحسب بل في العراق كله .. ويخلص الصائغ عبد الله الى القول ان قلة خبرة النساء بنوعية الذهب وبالوسم الحكومي وتقليده قد اسهم وبشكل كبير في توفير انواع كثيرة من الذهب المغشوش ..